# 44- عبد السلام بن عبد القادر بن عبد القادر ابن سودة المري

توفي سنة 1400هـ الموافق لسنة 1980م

# 44-1 نبده موجزة عن حياة عبد السلام ابن سودة المري



عبد السلام بن عبد القادر بن الشيخ محمد بن عبد القادر بن الشيخ الطالب بن أمحمد فتحا بن الحاج محمد بن الشيخ أحمد (دفين وازان) بن أمحمد فتحا بن محمد بن عبد الرحمان بن حمدون بن عبد الله بن علي بن أبي القاسم (3) ابن سودة المري القريشي، كان في نفس الوقت يعتبر عالما جليلا، ومؤرخا كبيرا، وباحثا واسع الاطلاع.

ولد بفاس في سنة 1319هـ الموافق لسنة 1901م، وتوفى رحمه الله ببوقنادل ودفن بسلا سنة 1400هـ الموافق لسنة 1980م.

وبما كان أبوه يسافر كثيرا قام بتربيته جده لأم المحدث الشيخ العابد ابن سودة المري القريشي، الصوفي، قاضي الجماعة، وخطيب ضريح المولى إدريس بفاس. كان عبد السلام رحمه الله يلازم جده ملازمة الظل لصاحبه ليستفيد من معلوماته. وقد أتم دراسته بالالتحاق بجامعة القرويين إلي أن حصل على شهادة العالمية.

في سنة 1362هـ الموافق لسنة 1943م، عينت وزارة الأوقاف بخزانة القرويين بفاس المؤرخ عبد السلام بن عبد القادر بن محمد ابن سودة المري، باحثا ومنقبا في الكتب المتلاشية. قضى حياته في الكتب والتأليف، واشتغل كمدرسا، وعدلا، ومؤرخا باحثا وخطيبا بضريح المولى إدريس باني مدينة فاس

كان شيخنا شغوفا بالتأليف والبحث في تاريخ المغرب حيث تعددت مؤلفاته وسبق ذكرها في كتابه دليل مؤرخ المغرب.

## 44-2 إجازة عبد السلام بن عبد القادر ابن سودة المري

الحمد لله حمدا موصلا بحبه، وموصولا بأهل قربه، والصلاة والسلام على سيدنا ومولانا محمد المخصوص بأعلى رتبة عند ربه، وعلى آله وصحبه، وبعد فيقول المعبد الحقير عبد السلام بن عبد القادر ابن سودة المري غفر الله ذنبه: لما كان من موافق العلم والدراية، الاعتناء بالإسناد والرواية، وقد قال ابن سيرين إن هذا الأمر دين فانظروا عمن تأخذون دينكم، وعل ابن المبارك: الإسناد من الدين ولولا الإسناد لقال من شاء ما شاء. ومن أجل هذا واقتناء لأثر أولائك الكرام أردت من سيدنا الجد العلامة الشهير أبي عبد الله محمد العابد بن العلامة القاضي لحافظ الناقد أبي العباس أحمد بن الطالب ابن سودة حفظه الله وبارك في أنفاسه الطاهرة، أن يتفضل على كاتبه بإجازته جميع ماله من المؤلفات والموسوعات وطرق أنواع التحملات في جميع المرويات، إجازة عامة شاملة بالإطلاق، والله المسئول أن يجبرنا بجوابر عوارفه. وصلى الله على سيدنا محمد وآله والسلام. في 15 رجب 1357هـ.

وفي ما يلي نص الجواب على طلب الإجازة:

الحمد لله والصلاة على رسول الله، وآله وصحبه وكل من والاه، وبعد فما طلب مني الولد البار عبد السلام حفظه الله فقد أجبته إلى جميع ما ذكر، وأجزته مروياتي بأنواع التحمل كلها قراءة وسماعا وإجازة ومناولة، وأذنت له أن يروي عني ذلك لمن شاء بأي لفظ شاء، ويحدث عني بما صح عنده أنه من مروياتي على اختلاف موضوعاتها، كل ذلك بالشرط المعتبر، والمعروف عند أهل الأثر، والله تعالى يوفق الجميع لصالح الأمة ويختم للكل بالحسنى.

في أواخر شهر رجب من سنة 1357هـ.

عبد ربه العابد بن أحمد ابن سودة كان الله له. انتهى.

## 44-3 نبذة مفصلة عن حياة عبد السلام ابن سودة المري

بقلمه



**المرجع:** كتاب سل النصال للنضال بالأشياخ وأهل الكمال، فهرسة الشيوخ لعبد السلام بن عبد القادر ابن سودة المري، (ص 228).

جرت عادة بعض المؤلفين أن يذكروا نبذة عن حياتهم في آخر بعض مؤلفاتهم إظهارا للحقيقة واعترافا بما من الله عليهم في هذه الحياة، وليس القصد افتخارا أو إعجابا بالنفس. وجريا على هذه العادة المألوفة أردت أن أشير في آخر هذا الفهرس إلى الحياة التي عشتها في هذا العالم المضطرب، لأني ما عقلت الحياة إلا ويد الاستعمار تفتك بهذا الشعب الكريم للقضاء على وحدته وقوميته وديانته وأخلاقه، ولعل ساعة الفرج قد دقت في هذه الأيام الأخيرة.

فكاتبه هو عبد السلام بن عبد القادر بن محمد بن عبد القادر بن محمد الطالب بن أمحمد فتحا ابن سودة المري، يتصل نسبه بأبي القاسم بن محمد بن علي ابن سودة القادم من جزيرة الأندلس من مدينة غرناطة أواسط المائة الثامنة حيث مقر أسلافه منذ قدموا إليها من الشرق مع بلج بن بشر القشيري أوائل القرن الثاني من الهجرة. وقدم أبو القاسم المذكور إلى المغرب ليكون كاتبا في بلاط بني مرين بفاس وقد ترجم له ذو الوزارتين لسان الدين محمد ابن الخطيب السلماني في كتابه الإحاطة في أخبار غرناطة ووصفه بأوصاف حسنة من الناحية العلمية والأدبية، وحلاه في نسبته بالمري ومرة توجد بين قبائل العرب، وقد حمل هذا النسب إلى المغرب أولاده من بعده لأنه الجد الجامع لأولاد ابن سودة الموجودين بالمغرب. ثم إن البعض منهم صار يضيف في نسبه القرشي زيادة على المري. وقد احتج على ذلك بأن لفظ المري عند العرب لا تنصرف عند الإطلاق إلا على مرة قريش. وعلى كل لا نطيل في هذا الموضوع لأن عهد الافتخار بالنسب من شأن العاجز، وعلى أنه إن بقيت بقية من ذلك فالعروبة ثابتة لأولاد ابن سودة من قديم الأزمان في الأندلس والمغرب.

وهذه القبيلة التي وجدت نفسي أحد أفرادها خدمت العلم الإسلامي طوال أجيال، ووجد بها عدة فحول من العلماء الأفذاذ الذين وصفوا بالعلم والمقدرة والمناصب العالية من تدريس وخطابة وقضاء وغير ذلك، وألفوا تأليف عديدة في مختلف الفنون، وأدرك أفراد منهم درجة شيخ الجماعة في وقته، وهذه الصفة العلمية ظهرت فيهم بالمغرب الأقصى منذ القرن التاسع إلى الآن.

ولدت بمدينة فاس عام 1319هـ الموافق لعام 1901م، وتربيت في حجر الجد من قبل الأم العابد بن الشيخ أحمد ابن سودة، والفضل راجع في تربيتي، لأنه رحمه الله كان له ولد واحد وتوفي ولم يبق له سوى بنت هي سيدتي الوالدة، فأخذني من أحضانها بعد الفطام وجعلني عوضا عن ولده المتوفى، فكنت لا أفارقه سفرا وحاضرا، فسافرت معه إلى مدينة الجديدة لما ولي القضاء بها عام 1325ه وأنا دون بلوغ، ولما أخر عن القضاء آخر عام 1330ه ورجع إلى فاس أدخلني الكتاب، ولما أنس مني طلب العلم أمرني بالدخول إلى القرويين في أوائل عام 1337هـ الموافق لسنة 1919م، فأخذت العلم عن بعض الأشياخ الذين مر ذكرهم. وفي عام 1341هـ الموافق لسنة 1923م، عينت مدرسا بمدرسة اللمطيين بفاس. وأخرت عنها أواخر عام 1344هـ الموافق لسنة 1925م بعده. وفي عام 1345هـ الموافق لسنة 1926م، طلبت المشاركة في امتحان التدريس على العادة الجارية في ذلك الوقت فاديت درسا واحدا في النحو في باب الاستثناء ثم صدر أمر بأن الامتحان لا يكون على تلك الحالة فمنعت من إتمامه، ولكن أدرجت في صف العدالة بسماط هذه الحضرة.

ولما أدخل النظام إلى القرويين عام 1350هـ الموافق لسنة 1931م، طلبت أداء الامتحان فيه أوائل عام 1351هـ الموافق لسنة 1932م، فشهد باستقامتي ومقدرتي جل أفراد المجلس، ولما ذهب ذلك إلى المراجع العليا وقع في التقرير أني أعد من الوطنيين فمنعت أنا وجماعة من الطلبة كانوا معي. ولما عجز سيدنا الجد العابد عن الخطابة بضريح المولى إدريس بن إدريس نبت عنه مدة سنتين، وفي أوائل عام 1359هـ الموافق لسنة 1940م، نفدت إلي الخطابة به إلى أواخر عام 1369هـ الموافق لسنة 1950م، حيث منعت من العدالة والخطابة لأسباب لا معنى لذكرها، منها أنني امتنعت من الاعتراف لبعض الطغاة الرجعيين بالنسب الشريف الذي ادعاه في عائلته مع أنه لا يعرف بذلك النسب من قبل، وقد حملتني على ذلك ما أعرفه من علم التاريخ والأنساب الذي هو أمانة في عنق أمثالي من أهل هذه الشأن "وعسى أن تكرهوا شيئا وهو خير لكم". فقد قامت بعد ذلك فتن وأهوال وقتل خطبا، وأئمة لو بقيت لكنت من بينهم والأمر لله.

وقبل ذلك كنت عينت للبحث عن الخروم بخزانة القرويين أوائل عام 1372هـ الموافق لسنة 1953م، وبقيت في ذلك إلى تمامه، وكانت النتيجة حسنة. ولما عزلت عن جميع الوظائف لزمت بيتي. وفي هذه الحالة التي مازلت متصفا بها كتبت عدة تأليف وأخرجت بعضها من مسودتها لأني والحمد لله منذ صغري ألهمت التأليف وخصوصا في تاريخ المغرب، ولا بأس أن اذكر أسماءها مرتبة بحسب زمن كتابتها حسب الإمكان:

1. فأول كتاب ألفته الدروس النحوية ألتفتها لما كنت مدرسا بالمدرسة الابتدائية على الطريقة الجديدة في علم النحو يفيد المبتدئ لو طبع.
2. تأليف في اللعبة الشهيرة بالشطرنج، سميته الزهر من أكمامه في الشطرنج وأحكامه، جمعت فيه كل ما يستحسن في هذا الموضوع، وما زال في مسودته في جزء صغير.
3. دليل المغرب الأقصى، ذلك الكتاب الذي حوي من مصادر تاريخ المغرب ما جعله عمدة الباحثين في المغرب والمشرق وصار مرجعا عند كثير من المؤلفين كالأستاذ المؤرخ عمر كحالة صاحب كتاب معجم المؤلفين، فقد كاد أن ينقله بأجمعه في كتابه، جمعت فيه ألفين و ثلاثة مائة كتاب، وذكرت فيه أكثر من ألف وفاة، وقد طبع أولا بمدينة تطوان في جزء واحد، ثم تولت دار الكتاب بالدار البيضاء طبعه مرة ثانية في جزأين مع زيادات وتنقيحات.
4. زبدة الآثار مما مضى من الخبر في القرن الثالث والرابع عشر، جعلته ذيلا لكتاب نشر المثاني في أخبار أهل القرن الحادي عشر والثاني، لمؤرخ فاس الشيخ محمد بن الطيب القادري الحسني المتوفى عام 1387هـ الموافق لسنة 1967م، وقد سرت على منواله ونسقه في ترتيب التراجم على تاريخ الوفيات. ابتدأت فيه من عام 1371هـ الموافق لسنة 1952م، وانتهيت فيه إلى عام 1387هـ الموافق لسنة 1967م، يخرج في أربع أجزاء ضخام، تناولت فيه أكثر من ثلاثة ألاف ترجمة لا يزال الكتاب في مسودة، يسر الله كل صعب.
5. إتحاف المطالع بوفيات أهل القرن الثالث عشر والرابع، وهو اختصار زبدة الآثار المذكور وكالذيل على كتاب التقاط الدرر ومستفاد المواعظ والعبر من أخبار المائة الحادية والثانية عشر للشيخ محمد القادري المذكور يقع في مجلد، وسيقدم للطبع إن شاء الله قريبا.
6. ذيل إتحاف المطالع المسمى بالذيل التابع لإتحاف المطالع ابتدأت فيه من أول عام 1371هـ الموافق لسنة 1951م، ومازال العمل مستمرا فيه إلى الآن، ذكرت فيه وفيات الرجال، وما يتبع ذلك من الوقائع والأحداث والأهوال، التي تعرض لها المغرب أيام الأزمة الاستعمارية الأخيرة، ولم أترك شاذة ولا فاذة إلا استقصيتها وأحللتها مكانها اللائق بها، بنزاهة قصد وإنصاف في القول والحكم، وهو الآن يبلغ مجلدين، أعاننا الله على إخراجه من مبيضته [[1]](#footnote-2)
7. إزالة الالتباس عن عائلات سكان فاس، جمعت فيه أكثر من ألفين اثنين وخمس مئة عائلة استوطنت مدينة فاس وكان لها ذكر، سواء كانت لا تزال موجودة أو اضمحلت ولم يبق إلا اسمها. أذكر بعض أفراد العلم والسياسة والجاه مع ذكر كثير من أعلام التاريخ والمصالح والآثار التي تنسب إلى عائلة إلى الآن، يقع في مجلدين.
8. أمثال أهل فاس وما إليها، حيث فيه ما يقرب من 15.000 مثل يستعملها أهل فاس سواء باللغة الدارجة أو باللغة العربية الفصحى، مع شرح بعضها إن كان استعمال المثل في معنى بعيد عن لفظه، لا زال العمل فيه مستمرا، يخرج في ثلاثة مجلدات.
9. قضاة مدينة فاس، حوي كل من تولى القضاء بمدينة فاس مع فاس الجديد من أول تأسيس العدوتين إلى الآن، مرتب حسب الأزمان والدول، يقع في مجلدين، وقد أخذت ما عثرت عليه من علامات القضاة بآلة التصوير حسب الإمكان.
10. معجم تأليف رجال المغرب الأقصى ضم أسماء ما وقفت عليه من تأليف رجال المغرب من أول الإسلام إلى الآن، رتبته على حروف المعجم ومازلت مشتغلا به، وقد جمعت فيه أكثر من 10.000 اسم كتاب مع نبده عن حياة المؤلف، وهو أصل الدليل ومنه تخرج، يقع في مجلدين ضخمين.
11. شعر أبي حفص الفاسي، جمعت فيه ما وقفت عليه من شعر الشيخ أبي حفص عمر بن عبد الله الفاسي الفهري المتوفى عام 1388هـ الموافق لسنة 1968م، لأنه لم يوفق أحد من الأدباء إلى جمعه، وما جمع منه يدل دلالة واضحة على مكانة الشاعر، وما وصل إليه الأدب في القرن الثاني عشر بالمغرب وخصوصا بفاس.
12. إخراج كتاب تاريخ الطب العربي في عصور دول المغرب الأقصى من مسودته، وهو من تأليف أبي عبد الله محمد بن أحمد العبدي الكانوني المتوفى عام 1357هـ الموافق لسنة 1938م، المار ذكره في هذه الفهرسة، لأني وقفت على الأصل بخط مؤلفه بعد وفاته، فوجدته غير مرتب وبه بياض في بعض المحلات، فرتبته وألحقت به ما كان يريد المؤلف يضيف إليه، ولولا ذلك لضاع ذلك المجهود الفريد في تاريخ المغرب بعد ما جعلت في أوله ترجمة لمؤلفه رحمة الله على وجه الاختصار، وقد بلغ نحو من مئة وخمسين صفحة.
13. مجموعة المقالات التي كتبتها، سواء نشرت في الجرائد والمجلات أو لم تنشر، وربما كانت جوابا لبعض الرسائل، في مجلد وسط، وقد ضاع جلها.
14. مجموعة الرسائل الواردة علي من الأساتذة والعلماء جلها رسائل تتعلق بأسئلة تاريخية وأدبية واجتماعية تفيد الباحث، في مجلد.
15. وأخيرا لب الغبية إلى مكة وطيبة، وهي رحلة إلى البقاع المقدسة عام 1383هـ الموافق لسنة 1963م، في جزء متوسط، أبنت فيها عن مقصد الشارع من الحج والمراد منه، وقد ذكرت في آخرها "التائية" التي نظمتها في طريق إلى الحج.
16. هذه الفهرسة التي جمعتها في الأشياخ المسماة سل النصال للمناضل بالأشياخ وأهل الكمال، ذكرت فيها ما أمكن ذكره على حسب المستطاع، وإني أعلم أني تركت الكثير ممن كان حقه أن يذكر، ولكن ليس في الإمكان أبدع مما كان.

وهناك عدة أبحاث ومقالات وموضوعات ما زلت أشغل نفسي بتحريرها وتتبع مصادرها وموادها أعاننا الله على إتمامها.

والله اسأل أن يجعل ذلك خالصا لوجه الله الكريم ويرزقنا بركة من ذكر في هذه الفهرسة وأن يعم النفع بها والإستفاد منها، إنه على ذلك قدير، وبالإجابة جدير.

## 44-4 رسالة للمرحوم عبد السلام ابن سودة المري

يعرف فيها بنفسه وببعض مؤلفاته.



**المرجع**: العدد 247 رجب 1405هـ الموافق لشهر أبريل 1985م بقلم أحمد العراقي

انتقل إلى رحمة الله يوم 28 شعبان 1400هـ الموافق ليوم 12 يوليوز 1980م، البحاثة المؤرخ العدل الأستاذ عبد السلام بن عبد القادر ابن سودة المري. وقد كان عالما مؤرخا نسابة أديبا، اشتغل طيلة حياته بالبحث والتنقيب عن مصادر تاريخ المغرب ومظانه، وأوسع رجالاته ترجمة وتعريفا. وخص مسقط رأسه " فاسا" بعناية كبيرة، فأفرد مواقعها بالتأليف وكذلك عائلاتها وقضاتها وأمثالها، حتى ليمكن عده بحق مؤرخ فاس بلا منازع في وقتنا الحاضر.

وكان رحمه الله، كما عرفته في أخريات حياته، وبالرغم من تقدم سنه، مثال الجد والمثابرة على البحث والتنقيب، كريما جوادا لا يبخل بعلمه ولا بكتبه على قاصديه من طلاب العلم والمعرفة، ويكاد بيته لا يخلو منهم في كل حين، يسارع إلى مدهم بمؤلفاته القيمة وبمكنونات خزانته العلمية الزاخرة.

وقد كنت سألته مرة (خلال إحدى زياراتي له في بيته بفاس) عن نفسه ومؤلفاته، فما كان منه )رحمه الله(، إلا أن دفع لي بضعة أوراق مبعثرة، ونبه أن بها طلبتي. وكانت هذه الوراق عبارة عن نسخة من رسالة جواب له عن رسالة بعثها إليه أحد الباحثين في نفس الشأن.

تقع هذه الرسالة في صفحتين من القطع الكبير. وهي بخط صاحبها، ويلاحظ أنه لم يصرح فيها باسم المرسل إليه، وأنه لم يثبت تاريخ الإرسال. وقد أمكننا تدارك تاريخ الإرسال عن طريق ورقة مستقلة عن الرسالة، هي بقية نسخة أخرى من نفس الرسالة، لكنها تختلف عن الأولى في كونها كتبت بضمير الغيبة، كتبها عن صاحبها أحد تلاميذه، لم يصرح باسمه، وورد في ختامها ما يلي: "حرر بفاس، يوم الأحد 20 ربيع الثاني سنة 1381هـ الموافق ليوم فاتح أكتوبر سنة 1961م.

تلميذكم المخلص: م.ج.

**وهذا هو نص الرسالة:**

بسم الله. فاس، في: (1/10/1961)

جناب الأستاذ المحترم

تحية صادقة، وسلاما عاطرا.

وبعد، فقد تشرفت برسالتكم ذات اللفظ الأنيق والمعنى الرقيق، تطلبون فيها من صفيكم أن يبعث إليكم – بوصفه مؤرخا باحثا في تراث المغرب الخالد – بترجمته الشخصية منذ استنشق نسيم الحياة إلى الآن، مع ما سطرته يمناه من أبحاث ومؤلفات في تاريخ هذا القطر العزيز الذي ندين له بكل ما نملك من غال ورخيص. وأثم الحق إنه لتقدير أعتز به كل الاعتزاز، وأتمنى صادقا أن أكون عند حسن الظن وجميل الثقة اللذين انبعثا من صميم إخلاصكم للبحث وتفانيكم في تدوين أخبار هذه الديار، وما دونه أبناؤها من تراث خالد، لا تبلى جدته ولا تذبل زهرته.

غير أنني – والخجل يحبس لساني وقلمي – أصارح الأخ الباحث بأنني وجدت عبء ذلك ثقيلا على كاهلي، وكأنما كنت أحول جبلا، فيلتوي لساني ويضطرب قلمي، إذ كيف أؤرخ لنفسي.؟ وكيف أكتب تاريخ حياتي ؟ أم كيف أبوح بسري، فأنشر المحاسن وأطوي المساوئ، وأنت الخبير أن المؤرخ لا أصعب عليه من أن يؤرخ نفسه، في حين يسهل عليه أن يكتب تاريخ الأفراد والشعوب.؟ وما ذلك إلا لأن المؤرخ يخشى أن يتهم بكل ما يتهم به المتحدثون عن أنفسهم حيث يبدءون حديثهم ب "أنا" ويختمونه ب "نحن" وربك أعلم بصحة ما يقولون.

فإذا تفهمتهم عذري، وعلمتم حق العلم وضعي وموقفي من مطلبكم، سهل عليكم أن تلتمسوا لي مبررا فيما تلاحظونه من اختصار واقتصار على الواجب الأكيد. وأملي ألا تغيب هذه الملاحظة عن أذهانكم، وأنتم تكتبون تاريخ حياة أخيكم ومجهوداته في هذا الميدان في كتابكم الذي تنوون إخراجه للناس عن وطننا المفدى بالمهج والأرواح.

**وها هي الترجمة المتواضعة:**

عرفت الحياة في مدينة فاس الفيحاء، عاصمة المغرب العلمية والفكرية وموطن الآباء والأجداد منذ القرن الثامن الهجري. واشتهرت أرومتي التي أنتسب إليها باسم "ابن سودة" بالأندلس والمغرب، الأسرة العربية الشهيرة التي هاجر حدها الأعلى من الأندلس إلى المغرب، أيام الأمير أبي عنان المريني. وقد عرف بهذا الجد القادم الوزير الخطير لسان الدين ابن الخطيب في كتابه الإحاطة.(*هو أبو القاسم محمد بن محمد بن علي ابن سودة المري، قدم من غرناطة إلى فاس سنة 754هـ. ترجمته في الإحاطة، لابن الخطيب، ج3، ص168-171).*

واتخذ فاسا دار إقامة، تناسل بها أحفاده من القرن الثامن إلى الآن. وتكفلت كتب التاريخ الشهيرة بترجمة أعلام هذه الأسرة في القضاء والعدالة والخطابة والفتوى والتأليف. (*وقد أفردهم بالتأليف سليمان الحوات في كتابه "الروضة المقصودة والحلل الممدودة في مآثر بني سودة" دليل. ج1، ص101 والعابد ابن سودة في كتابه "الأنباء المنشودة من شمائل رجال بيت بني سودة"دليل. ج1، ص71).*

وكان ميلادي بمسقط الرأس فاس سنة 1319هـ. وتربيت بين أحضان سيدي الوالد حفظه الله (*توفي سنة 1389هـ وورد ذكره في الدليل. ج2، ص 359، وفي مواضع أخرى*). والأعمام وأبناء العم، وما منهم إلا عالم أو قاض أو خطيب أو موثق. وتولى كبير تربيتي وتعليمي جدي من قبل الأم العلامة الخطيب سيدي العابد بن العلامة المحدث أحمد رحمهما الله *(توفي سنة 1359هـ وورد ذكره في الدليل. ج2، ص 35، وفي مواضع متفرقة أخرى)*.

ودخلت للدراسة في كلية القرويين، فتلقيت العلوم الإسلامية على جلة من أعلامها، ذكرتهم في الفهرسة مع وافر من ترجمتهم. ولما أسس النظام القروي سنة 1350 منعت من الالتحاق مع جماعة من الزملاء بسلك الامتحان لأننا من الوطنيين، فبقيت أدرس لنفسي، وأختار ما يوافق مشربي، وكنت مغرما بكتب التاريخ والأنساب. ووجدت في خزانتنا الأحمدية (نسبة إلى جده من قبل الأم القاضي أحمد بن الطالب ابن سودة المتوفى سنة 1321هـ. *(ترجمته في الإعلام، للمراكشي. ج2، ص455 المطبعة الملكية).* ما يشجعني على تغذية هذه الرغبة التي صارت جزءا مني لا أقصد دون تحقيقها بكل ما أملك من وقت وفكر.

واشتركت في الحياة العامة للبلاد، واتصلت بكثير من رجال العلم والأدب والتاريخ في بلادنا، ولم آل جهدا في الاستفادة من كل من عنده شيء يشبع هوايتي، وفي أثناء ذلك اشتغلت بالتوثيق العدلي. ثم عينت في البحث بحرم خزانة القرويين الذي كان متراكما بها *(عين في ذلك بمعية المرحوم محمد العابد الفاسي، وذلك في 19 صفر 1362هـ انظر مقدمة فهرس مخطوطات خزانة القرويين، لمحمد الفاسي الفهري، ج1، ص 10-11).* فكانت النتيجة حسنة، مع الخطابة في ضريح المولى إدريس الأزهر إلى سنة 1369 حيث سعى بعض الطغاة المسيطرين في ذلك الوقت في حرماني من الخطابة وما إليها، لأغراض شخصية ذهبت (لذتها) وبقي وزرها عليه. وبعد إعلان الاستقلال عينت في وظيفة بخزانة القرويين وما زلت فيها إلى الآن *(ثم عين بعد ذلك في معهد الفتيات لإصلاح خزانتها، ثم استدعي إلى الرباط لمراجعة بعض الوثائق بالقصر الملكي، ثم عين بمعهد العلوم الاجتماعية، وأخيرا بالخزانة العامة، ثم أحيل على التقاعد فعاد إلى فاس حيث عاود الاشتغال بالتوثيق العدلي إلى حين وفاته ببوقنادل بمنزل ولده ودفن بسلا).*

**أما مؤلفاتي فهي:**

(1) دليل مؤرخ المغرب الأقصى"، ذلك الكتاب الذي حوي من مصادر تاريخ المغرب، ما جعله عمدة الباحثين في المغرب والمشرق، وصيره مرجعا عند كثير من المؤلفين *(معجم المؤلفين، للأستاذ العلامة كحالة).* جمعت فيه أكثر من ألفين وثلاثمائة اسم كتاب. وذكرت فيه أكثر من ألف وفاة. وقد طبع أولا بتطوان، ذلك سنة 1950م، في جزء واحد. ثم تولت إدارة دار الكتاب بالبيضاء طبعه مرة ثانية، في جزأين مع زيادة وتنقيحات عديدة *(طبع ج 1 سنة 1960*م*، ج2 سنة 1965م).*

(2) زبدة الأثر مما مضى من الخبر في القرن الثالث والرابع عشر". جعلته ذيلا لكتاب " نشر المثاني في أخبار أهل القرن الحادي عشر والثاني"، لمؤرخ فاس الشيخ محمد بن الطيب القادري المتوفى سنة 1187 هـ. وقد سرت على نسقه في ترتيب التراجم على تاريخ الوفيات. وابتدأت بسنة 1171 وانتهيت بسنة 1370هـ شخصية مغربية. ولا زال الكتاب في مسودته.

(3) إتحاف المطالع بوفيات أهل القرن الثالث عشر والرابع". وهو اختصار لزبدة الأثر، وكالذيل على " التقاط الدرر ومستفاد المواعظ والعبر من أخبار أعيان المائة الحادية والثانية عشر"، للشيخ القادري المذكور، في مجلد واحد. وسيقدم للطبع إن شاء الله *(وقد أخبرت أن دار المغرب للتأليف والترجمة والنشر أنها عازمة على نشره ونشر ذيله. بمقدمة الدكتور محمد حجي لتحقيقه لنشر المثاني، للقادري. ج1، ص4. ومنه نسخة مضروبة على الآلة الكاتبة بالخزانة الحسنية سجلت تحت رقم 10.651. محمد المنوني، صداقة أربعين سنة مع مؤرخ فاس عبد السلام ابن سودة، المناهل ع.20).*

4)) ذيل إتحاف المطالع. ابتدأت فيه من أول سنة 1371هـ، وما زال العمل فيه مستمرا إلى الآن. ذكرت فيه تاريخ الرجال والوقائع والأحداث والأهوال التي تعرض لها المغرب أيام الأزمة الاستعمارية الأخيرة، ولم أترك (شاذة) ولا (فادة) إلا اقتنصتها وأحللتها مكانها اللائق بها بنزاهة قصد وإنصاف في القول والحكم، وهو يبلغ (مجلدا).

(5) إزالة الالتباس عن عائلات سكان مدينة فاس"، جمعت فيه أكثر من 1.700 أسرة استوطنت فاسا، وكان لها بها ذكر سواء كانت لا زالت موجودة أو اضمحلت ولم يبق إلا اسمها. ذاكرا بعض أفراد العلم أو السياسة أو الجاه، مع ذكر كثير من أعلام التاريخ ومعالم الآثار التي تنسب إلى كل أسرة إلى الآن. وهو في مجلد *(بلغ به ذلك ما يناهز 4.000 أسرة، وخرجه على الآلة الكاتبة في جزأين، ومنه نسخة بالخزانة الحسنية سجلت تحت 10.652. د. محمد المنوني، صداقة أربعين سنة، المناهل ع.20).*

6)) الفهرسة، جمعت فيها تراجم الأشياخ والمفيدين الذين أخذت عنهم أو اقتبست من أنوارهم، وهم أكثر من مائة وستين رجلا، في مجلد *(وصل بهم بعد ذلك إلى 230، وفرغ من جمعها سنة 1376هـ وسماها مسل النضال للنضال بالأشياخ وأهل الكمال".).*

(7) أمثال أهل فاس وما إليها، جمعت فيه ما يقرب من أربعة آلاف مثل يستعملها أهل فاس سواء باللغة الدارجة أو الفصحى، مع شرح البعض منها إن كان استعماله في معنى بعيد عن لفظه. ولا زلت أعمل فيه إلى الآن *(وصل بعدد الأمثال بعد ذلك إلى ما يقرب من 20.000، وهي في جزأين، منها نسخة بالخزانة الحسنية تحت رقم 10.653. د. محمد المنوني، صداقة أربعين سنة، المناهل ع.20).*

8)) وهناك عدة أبحاث ومقالات وموضوعات ما زلت أشغل نفسي بتحريرها وتتبع مصادرها ومواردها. *(وله بالإضافة إلى ما تقدم مؤلفات أخرها لعله أنجزها فيما بعد أو كان يشتغل بتحريرها ولم يشر إليها في رسالته، ومنها "قضاة فاس، في مجلدين" مجموعة من خطط فاس القديمة والجديدة وما إليها."لقطات وسقطات من علامات عدول وقضاة" تراثنا المغربي حول نزول القرآن الكريم "لب الغيبة إلى مكة وطيبة، وهي رحلة حجازية، قام بها سنة 1383هـ." ذيل لدليل مؤرخ المغرب الأقصى، وقد سماه "تنوير السبيل إلى الدليل".و"باهدراز"، وهي رواية أقامها على عادات أهل فاس العريقة، وأرد إعطاء فكرة من خلالها عن هذه المدينة."ترتيب فهرس المهدي بن الطالب ابن سودة" جمع ديوان أبي حفص عمر الفاسي المتوفى سنة 1188هـ "ترتيب كتاب الأنباء المنشودة في أخبار بني سودة، للعابد ابن سودة" إخراج كتاب الطب العربي في عصور دول المغرب الأقصى، لمحمد العبدي الكانوني "مقالات مختلفة، نشرت في مجلات مغربية متعددة".*

9)) وأملي أن يوفقني الله لخدمة هذا البلد الأمين بما أخرج من مؤلفات وما أذيعه من أبحاث تفيد الباحث وتروي ظمأه من أمجاد الآباء والأجداد. والسلام.

## 44-5 مؤلفات عبد السلام بن عبد القادر ابن سودة المري

**المرجع:** محمد المنوني صداقة أربعين سنة مع مؤرخ فاس عبد السلام ابن سودة، مجلة المناهل س 8 عدد 20 بتاريخ ربيع الثاني 1401هـ الموافق لشهر مارس 1980م ص 195-205.

**الخزانة الأحمدية**

في أيام مجاورتي بالقرويين، كنت أصادف – أحيانا – لما أجتاز بقنطرة الرصيف: شخصية تنطلق من جهة حي المخفية. ويبدو صاحبها في مظهر محترم: يسير في تؤدة، ويرتدي البرنس الأبيض مع الجلباب، بينما تتوجه عمة بيضاء خفيفة تعلو قلنسوة حمراء، وهو ربعة إلى الطول، خفيف العارضين، دو عينين زرقاوين حادتين.

ولما أسائل عن هويته: يذكر لي أنه الفقيه عبد السلام ابن سودة، وهو ابن الفقيه عبد القادر، وحفيظ قاضي طنجة محمد بن عبد القادر ابن سودة المري القرشي. بينما والدته كريمة القاضي محمد العابد، بن الشيخ أحمد بن الطالب ابن سودة المري، قاضي مكناس الشهير.

ويضيف معرفي: أن المعني بالأمر تصيرت له خزانة علمية عامرة بنوادر المخطوطات المنوعة، بعدما كان الجامع لها هو جد والدته: قاضي مكناس المنوه به، ولذلك أطلق عليها مترجمنا اسم "الخزانة الأحمدية" تنويها بمؤسسها، وتخليدا لاسمه.

وتمر أيام وأيام، فتشاء الصدفة الوانية أن تهيئ لي فرصة الاتصال بالفقيد: يوم الخميس سادس المحرم، من عام تسعة وخمسين وثلاثمائة وألف هجرية (1940م). وذلك بمناسبة استجارتي جده لأمه الشيخ العابد ابن سودة، وزيارتي له بروضه في حي المخفية بزنقة بورجوع رقم 32 حيث كان ساكنه به كل من المترجم، وشقيقه الفقيه النبيه المجامل البشوش السيد أمحمد بفتح أوله مد الله في حياته.

وعن هذه المناسبة انبثقت الصداقة بيني وبين المترجم، ولا يزيدها مر الأيام إلا رسوخا وثباثا، حتى فارقتنا تغمده الله – سبحانه – برحمته وأسكنه فسيح جنته.

ومن الطبيعي أن تترك أربعون سنة من الوصلة: ارتساماتها عن حياة الراحل العزيز. فكانت أولى ملاحظاتي: أنه نشأ في وسط علمي رفيع قوامه والده وجده وأعمامه وأبنائهم، وما فيهم إلا عالم أو قاضي أو خطيب أو موثق. ويتجاوب فقيدنا مع مستوى بيئته، فيقبل على دراسة العلوم الإسلامية بالقرويين، ويتدرج في أسلاكها – متطوعا – حتى قسم التعليم العالي. ومن هذه المرحلة بدأ يجنح لقراءة كتب التاريخ والأنساب، وقوت فيه هذه الرغبة – مع مر الزمن – حتى صارت جزءا من نشاطه لا يهدأ له بال دون تحقيقها.

ومن هنا يهتم راحلنا بتتبع المصادر التي تشبع رغبته، فيضيف إلى "الخزانة الأحمدية" العديد من الذخائر المنوعة: تارة بالشراء، ومرات بالتصوير أو الاستنساخ: بنفسه أو بيد شقيقه السيد محمد.

ولما كان يضطلع بالتوثيق في سماط القرويين، ساعدته هذه المهنة على الاتصال بمجموعة كبرى من منوعات وثائق العائلات الفاسية. حتى إذا رشح للبحث في خروم خزانة القرويين، انغمس في خضم من النوادر والذخائر.

ونفس الظاهرة عايشها المنوه به لما صار موظفا بخزانة القرويين ثم بالخزانتين: العامة والملكية بالرباط. والى قراءة ما يهمه من المستندات، زار الفقيد كثيرا من الخزائن المغربية الخاصة: في فاس ومكناس وسلا والرباط وطنجة وتطوان والبيضاء وسطات ومراكش وسواها. وبهذا الجهد في تتبع المصادر وقراءة ما يهمه منها، يتضلع المترجم في ميدان التدوين التاريخي ، هادفا – في أغلب أوضاعه – إلى سد بعض الثغرات في تاريخنا المغربي.

– 1 فيستهل تجربته بمؤلف يحاول أن يجمع فيه المصنفات المغربية في سائر المواد: على غرار كشف الظنون، ويشرع في تأليفه هذا يوم الجمعة 26 شوال عام 1353هـ الموافق لسنة 1935م، ثم يكون الفراغ من نسخته الأولى عشاء يوم الجمعة 24 محرم عام 1354هـ الموافق لسنة 1935م. غير أن هذه التجربة كانت لا تزال بحاجة كبرى إلى التكميل والتنقيح، وهو ما انصرف إليه المؤلف أخريات حياته، دون أن يتمكن من إتمام الكتاب الذي يحمل عنوان "معجم تأليف رجال المغرب الأقصى" ومن الجدير بالذكر أن المترجم بعد ما رتب محاولته الأولى على أسماء الكتب ، عاد فرتب كتابه على أسماء المؤلفين، حيت ارتفع عددهم إلى أكثر من 5.000، وبلغ إنتاجهم 13.000 كتاب، حسب المؤلف في مقال نشره في مجلة دعوة الحق بالعدد الثاني من السنة 16 ص 169–182.

– 2 ثم كان مؤلفه الثاني بعد تجربته الأولى: هو "دليل مؤرخ المغرب الأقصى" فبوبه في ثمانية أقسام، ورتب كل قسم حسب التهجية المغربية. وهو الذي حظي بالنشر – كاملا – من إنتاجه، وتكرر طبعه مرتين ...(ضبط واستدراك مكتب البحوث والدراسات في دار الفكر منشورات: دار الفكر للطباعة والنشر، بيروت الطبعة الأولى، 1418هـ الموافق لسنة 1997م.

– 3 إزالة الالتباس عن قبائل سكان فاس: عرض به أصول سكان فاس بين أسر باقية ومنقرضة فاشتمل على ما يناهز 4.000 عائلة صنفها على ترتيب المعجمية المغربية. وقد خرجه المؤلف على الآلة الكاتبة ومنه نسخة بالخزانة الملكية رقم 10.652 في جزأين :(الأول: ص 254، والثاني: ص197).

– 4 ثم اختصره باسم "قطف أزهار ألآس من روض إزالة الالتباس" وقدمه لمهرجان جامعة القرويين بمناسبة ذكراها المائة بعد الألف فنشرت قطعة منه "بالكتاب الذهبي جامعة القرويين" ص 173–179. أما الاختصار كاملا فقد أدرجه المؤلف في افتتاحية أصله المخرج بالآلة الكاتبة.

– 5 زبدة الأثر مما مضى من الخبر في القرن الثالث والرابع عشر: ذيل به على نشر المثاني لمحمد بن الطيب القادري، مسايرا منهجيته في عروضه، وابتدأ من عام 1171هـ الموافق لسنة 1757م، إلى أن انتهى عند آخر عام 1370هـ الموافق لسنة 1950م. ولازال في مبيضته قابلا للزيادة والنقص، حسب مؤلفه الذي يقدر له أربعة أسفار.

– 6 "إتحاف المطالع بوفيات رجال القرن الثالث عشر والرابع": ذيل به على التقاط الدرر للقادري آنف الذكر متبعا منهجيته وابتدأ من عام 1171هـ الموافق لسنة 1757م إلى نهاية عام 1370هـ الموافق لسنة1950م. فجاء شبه مختصر لكتاب زبدة الأثر، طبع بتحقيق د. محمد حجي، دار الغرب الإسلامي بيروت 2 ج

– 7 سل النصال للنضال بالأشياخ وأهل الكمال: اسم فهرس لأشياخ المترجم دراسة ورواية وتبركا حسب تعبير، فيها أكثر من 200 ترجمة وفرغ من جمعها عام 1376هـ الموافق لسنة 1956م. طبع بتحقيق د. محمد حجي، دار الغرب الإسلامي بيروت.

8 – قضاة مدينة فاس القديمة والحديثة: استوعب فيه من تقلد خطة القضاء أو نيابتها بفاس: من فترة تأسيسها حتى زمن التأليف ، ودون به أكثر من 3.000 ترجمة مرتبة حسب التسلسل التاريخي. وهو في جزأين مخرجين على الآلة الكاتبة، حيث يحفظ بالخزانة الملكية رقم: 10.960 طبع مؤخرا.

– 9 وقد ذيل عليه بمجموعة ضخمة من صور أشكال توقيعات قضاة فاس ونوابهم ومشاهير العدول، فاستوعب ذلك مجلدين اثنين تحتفظ بهما خزانة المؤلف.

– 10 مجموعة أمثال مدينة فاس وما إليها: سرد فيها نحو 20.000 مثل وحكاية، وهي مخرجة على الآلة الكاتبة في مجلد منه نسخة بالخزانة الملكية رقم: 10.653 في 651 ص موزعة بين جزأين.

– 11كناشات متعددة: سجل فيها – حسب تعبيره – جل ما استحسنه من الفوائد التاريخية وغيرها مما شاهده واستوعبه.

– 12 مجموعة أخبار وطرائف تتصل بالحياة في فاس، ولما كان تدوينها بطريقة عفوية: جعل المترجم عنوانا دارجا هو "رواية أبا هدراز" وسار في صياغتها على الأسلوب القصصي. يخرج الموجود منها من مبيضتها في مجلدين أو أكثر وهي بخزانة المؤلف، ولا تزال بحاجة إلى المراجعة والتنظيم والتنقيح.

– 13 خطط فاس مدينتي فاس العتيق والجديد: عهدي به يجمعها في جذاذات تجاوز فيها 6.000 اسم حسب تقديره.

– 14 ونشير الآن – إلى ثلاث مؤلفات خارج هذه المادة، بدءا من رسالة باسم "الزهر من أكمامه في الشطرنج وأحكامه": ألفها من عام 1342هـ الموافق لسنة 1924م، في أربعة أبواب وخاتمة، فجاءت في سفر وسط مخطوط بخزانة المؤلف.

– 15رحلة حجازية: دون بها ارتساماته عن زيارته للحرمين الشريفين في حجته عام 1389هـ الموافق لسنة 1970م، وتوسع في الحديث عن أسرار الحج إلى حد الإغراب في بعض الاستنتاجات. مخطوط بخزانة المؤلف.

– 16 ديوان أبي حفص الفاسي: عبد الله بن عمر الفهري، المتوفى عام 1188هـ الموافق لسنة 1774م، جمع فيه أشعاره بعد ما كانت متفرقة، والتقطها من الكتب والمقيدات، ثم رتبها في جزء صغير لا يزال مخطوطا بخزانته.

ومن لائحة المؤلفات التاريخية بالخصوص، يتبين أن المترجم سد – بإنتاجه – فراغات ينعدم – الآن من يسد مسده فيها، ومن ذلك تتبع مستندات تاريخ المغرب الأقصى، ورصد وفيات رجاله والاهتمام بالتراجم المعاصرة وأنساب سكان فاس. هذا فضلا عما تشف عنه أوضاعه – المنوه بها – من انقطاع للبحث والتدوين وتواضع ونكران للذات، ومن تواضعه إعلانه – بالتأليف والتحديث – أن بعض مؤلفاته المخطوطة لا يزال قابلا للزيادة والحذف والتنقيح. ويندب لذة المهمة هيئات الباحثين المختصين. وهي توصية تؤخذ بعين الاعتبار عند إخراج مؤلفاته ونشرها يسر الله سبحانه الأسباب لذلك.

وان الفقيد بانقطاعه للبحث اكتسب اطلاعا خاصا على مصادر تاريخ المغرب ووفيات رجاله، كما ركز ذلك فيه حاسة النقد لما يقرأه في هذا الاتجاه فيبادر بتدوين ملاحظاته ويراسل بها من يهمه الأمر وأحيانا ينشرها. ونختم هذا العرض بالإشارة إلى أن راحلنا خدم التاريخ المغربي من نافدة أخرى وذلك بإفادته المستمرة لجماعات من الباحثين، طبقات بعد طبقات، والى جانب استجوابه معهم : كانت خزانته الأحمدية دائما في خدمة الزائرين والمستعيرين للذخائر والنوادر، كما أنه لم يبخل أبدا عن الخزانة العامة بتقديم عيون المخطوطات لتصويرها بقسم الأفلام.

وهكذا، عاش فقيدنا يمارس خلق الباحث الواعي لرسالته، إفادة وتدوينا إلى اللحظات الأخيرة من حياته، حيث كان بمنزل ابنه الأستاذ المقتدر السيد محمد في مركز بولقنادل من ضاحية سلا، وهناك أدركته منيته فجر يوم الأحد 29 شعبان عام 1400هـ الموافق 12 يوليوز 1980م، بعدما عمر 81 سنة هجرية، حيث كان مولده بفاس عام 1319هـ الموافق لسنة 1901م. وزوال يوم وفاته أقبر في ملحده الأخير بمدينة سلا عند الجبانة الكبرى خارج باب المعقلة، حيث يرقد مؤرخ المغرب الشهير: الشيخ أحمد بن خالد الناصري مؤلف الإستقصا، سقى الله الجميع شئابيب رحمته، وألحقنا بهم مسلمين مؤمنين.

1. استمر المؤلف في كتابة التراجم إلى عام وفاته 1340هـ الموافق لسنة 1922م، وقد أعاد النظر في إتحاف المطلع وذيوله وجعله كتابا واحدا ذيل به كتابي القادري نشر المثاني والتقاط الدرر، وهو الذي نشرناه مع تهذيب وحذف زوائد بإذن المؤلف. [↑](#footnote-ref-2)